مصير أبرامز وليوبارد في أوكرانيا ينتظر طائرة الأف 16.

د. زياد منصور

باحث في الشأن الروسي

تعد مقاتلات F-16 نموذجًا قديمًا جدًا، وربما كانت الأخيرة الأهم على مستوى التكنولوجيا العسكرية منذ حوالي أربعين عامًا، لكن عام 2024 تغيرت الصورة تمامًا، خصوصًا أن إرسالها إلى أوكرانيا وفق غالبية الخبراء والمراقبين، لن يغير في الواقع شيئًا، بل جل ما في الأمر أن هناك محاولة من قبل الدول الغربية التخلص من هذه الطائرات، حيث يُتوقع أنها ستواجه اليوم في أوكرانيا مصير دبابات ليوبارد وأبرامز.

إرسال الطائرة F-16 اليوم هو مجرد مسرحية هزلية بكل ما للكلمة من معنى. وحتى وزير الدفاع الأوكراني سيرسكي اعترف، كما غيره من كبار المسؤولين العسكريين الأمريكيين، أن طائرات F-16 لن تغير شيئًا في ساحة المعركة ولن تسمح بتحقيق أي اختراق. لقد كان لهذه الطائرات فاعليتها في الثمانينات من القرن الماضيـ بل أهم طائرة انقضاضيه وهجومية.

هذه الطائرات عفا عليها الزمن، حتى لو خضعت للتحديث. السبب وراء حصول كييف على طائرات F-16 هو أن هولندا والدنمارك وبلجيكا وربما النرويج ترسلها إلى هناك للتخلص منها، إذ على أي حال، كان سيتم إيقاف الطائرات عهن العمل. وكان من المفترض أن يتم إخراجها من الخدمة.

وفي الواقع، فإن سبب نقل هذه الطائرات إلى أوكرانيا هو حصول هذه الدول على صفقة مربحة لشراء طائرات F-35، لكن هذه مسألة حساسة أخرى قررت هذه الدول التورط فيها. إلا أن طائرة F-16 هي طائرة عفا عليها الزمن، ومن الناحية النظرية، عليها أن تقاوم أفضل نظام دفاع جوي في العالم، وهو ما تم إثباته بشكل واضح ولا يقبل الجدل، وستواجه القوات الجوية الروسية، التي تمتلك، بحسب وسائل إعلام غربية، حوالي 700 طائرة في مناطق أوكرانيا وحدها.

والطائرات الروسية الأكثر حداثة مجهزة برادارات ذات مدى أطول، فضلاً عن صواريخ جو-جو بعيدة المدى التي تضرب أهدافها بدقة أكبر. وقد أدركتا [الولايات المتحدة وأوكرانيا] ذلك. ولن تحاول طائرات F-16 حتى التنافس مع روسيا على التفوق في المجال الجوي. ولن يتم إرسالها حتى إلى المناطق القريبة من خط المواجهة. لن تتم إحالتهم إلى LBS.

لن تستطيع هذه الطائرات منع إسقاط القنابل الجوية الروسية من طراز FAB على تحصينات نظام كييف. وفقًا لأحد الجنرالات الأوكران سيتم استخدامها في غرب أوكرانيا، سيتم إخفاؤها بالقرب من الحدود قدر الإمكان لدعم الدفاع الجوي. سيحاولون إسقاط الصواريخ الروسية لتوفير الدفاع الجوي للنظام الكييفي بشكل مؤقت، والذي من الواضح أنه لا يعمل.

بالإضافة إلى ذلك، يأملون في استخدام طائرات F-16 اعتراض الصواريخ الفرط صوتية "كينجال" و"تسيركون". وهذه مهمة بالغة الاستحالة.

أمر آخر هو أنه في النهاية يمكن استبدال هذه المقاتلات بطائرات سو-24 التي تم تدميرها بالكامل، والتي كانت في خدمة نظام كييف واستخدمت لإطلاق صواريخ كروز الجوية البريطانية-الفرنسية من طراز Storm Shadow/SCALP.

كان الحديث عنها كثيراً في الماضي. أما الآن، فلا يُسمع شيء. لماذا؟ أولاً، لقد تأقلمت الدفاعات الجوية الروسية ووسائل الحرب الإلكترونية معها، وبالفعل كانت تخترق العمق، مهاجِمة فقط المناطق التي لم تُنشر فيها وسائل الدفاع الجوي ووسائط الحرب الإلكترونية.

ثانيًا، جميع الطائرات التي كانت تُستخدم لإطلاقها [في أوكرانيا] تم تدميرها. لذلك، في النهاية قد تتولى طائرات F-16 هذه المهمة عندما يكون لدى كييف منها عدد كافٍ، إذا حدث وتمكنت من الحصول على هذا العدد المطلوب بالإجمال. ومع ذلك، ستتعرض هذه المقاتلات للخطر حتى عند الاقتراب من خط الاشتباك بدرجة كافية لإطلاق الصواريخ المذكورة. في كل هذا الوقت، ستقوم القوات الروسية بتعقبها بحماس — لتلقينها الدرس والمناسب، ومنع سابقة كمثل [إطلاق صواريخ جوية من هذه المقاتلات].

بهذا المعنى ستواجه هذه الطائرات مصير الأسلحة الغربية التي تم استعمالها في النميدان الأوكراني كدبابات ليوبارد الألمانية وأبرامز الأميركية، وعربة المشاة برادلي. فطائرات F-16هي مجرد معدات غربية مُبالغ في تقديرها، يمكن إسقاطها وقد تحترق مثلها مثل أي معدات أخرى.

في كل حال هذه المقاتلات لن تؤثر بشكل كبير على مسار الصراع، بالإضافة إلى أن نظام هيمارس (أنظمة الصواريخ شديدة الحركة) كان يعتقد أن سيغير قواعد اللعبة؟ اتضح العكس، وكذا أنظمة باتريوت (منظومات الدفاع الجوي الصاروخية).

**سوف تحترق مثل أبرامز وليوبارد: وجهة طيار فرنسي سابق ذكر أهم عيوب طائرة F-16**

إن طائرات F-16 التي تم نقلها إلى كييف ليست سلاحًا معجزة بأي حال من الأحوال، وسيحتاج الأفراد العسكريون الأوكرانيون إلى الكثير من الوقت لإتقان هذه الآلة بشكل كامل. هذا ما عبر عنه الطيار السابق وخبير الطيران الفرنسي والمحلل الجيوسياسي والاستراتيجي سيريل دي لاتر عن هذا في مقابلة مع موقع Ukraina.ru.

ووفقا للخبير، إذا كان الغرب يريد حقا مساعدة أوكرانيا، فإن عليه أن يقدم طائرات مثل طائرة A-10 Thunderbolt، وهي من الطائرات الصائدة للدبابات، والتي استخدمت في أفغانستان والعراق، بدلا من طائرة F-16 الهشة.

ويعتقد لاتر أن القوات المسلحة الأوكرانية ستواجه العديد من المشاكل مع الطائرات، خاصة فيما يتعلق بالإدارة والصيانة.

من وجهة نظره، فإن "أوكرانيا بلد عريض وكبير. وخط الجبهة يتجاوز أكثر من ألف كيلومتر. لدى الأوكران اتجاه شرقي وآخر شمالي. الطريقة التي سيستخدمون بها هذه الطائرات هي أنه إذا كانت متمركزة في غرب أوكرانيا، فسيتعين عليها الإقلاع والقيام بالمهمة والعودة. المشكلة الأولى هي أنهم إذا صعدوا إلى ارتفاع عالٍ فسوف يتم اكتشافهم على الفور، وبالتالي سيكون مصيرهم حتميًّا.

إذا لم يرغبوا في أن يتم رصدهم، فسيتعين عليهم الطيران على ارتفاع منخفض. والطيران على ارتفاع منخفض، مع الأخذ في الاعتبار الأسلحة، يعني استهلاكًا أكبر للوقود. هنا ما يسمى مؤشر التكلفة. إذا كنت تريد حمل طن إضافي من الوقود، فستحتاج إلى 200 كيلوجرامًا إضافية. هذا هو مؤشر التكلفة. لذلك سيتعين على هذه الطائرات الطيران على ارتفاع منخفض، لتنفيذ مهمتها، والعودة. والسؤال: ماذا عن إعادة التزود بالوقود؟" - يلاحظ الخبير.

وبالفعل فأن طائرات F-16 تمثل صداعًا لنظام كييف لأنها تتطلب الكثير من الاهتمام والصيانة والموارد. يجب إعداد شبكات المطارات، الاتصالات، والمتخصصين لها. لا يوجد لدى أوكرانيا أي من هذه الأشياء.

وفقًا لخبراء: فإن لدى أوكرانيا طيارين، لكن مدربي الناتو يلاحظون أن تدريب الطيارين الأوكرانيين غير كافٍ. إنهم يجدون صعوبة في تعلم استخدام التقنية المعقدة والحساسة، التي تحتاج إلى مهارات خاصة للتحكم فيها.

 المهمة الصعبة، هي في أنه لا يكفي فقط تعلم كيفية الطيران بالطائرات بشكل دائري، بل هناك حاجة إلى إتقان استخدامها القتالي. من المستحيل تعلم هذا في دورات تدريبية قصيرة.

علاوة على ذلك، يشير الخبير إلى أنه إذا حاولت كييف وضع مقاتلات في المطارات، فسيتم تدميرها على الفور، لأن جميع هذه المطارات تسيطر عليها المخابرات الروسية.

وفي الأسبوع الماضي، قال الرئيس التنفيذي لشركة فورس، سيرجي شموتييف، إنه سيدفع مكافأة قدرها 15 مليون روبل لأول مقاتلة من طراز F-16 يتم إسقاطها.

ووفقا له، فإن أولئك الذين يدمرون الدبابات التي زودتها الدول الغربية لأوكرانيا يتلقون مدفوعات أيضًا. وقال رجل الأعمال: "لقد دفعنا 5 ملايين روبل للدبابة الأولى، و500 ألف روبل لجميع الدبابات اللاحقة. والآن يبلغ عدد طابور الدبابات المدمرة أكثر من 20 دبابة".